



لا شك أنَّ السَّيِّدَ أَحْمَدَ دَاوُودَ أوْغُلُوَ عِنْدَمَا وَضَعَ نَظِيرَتَهُ (صَفَرَ مَشَاكِلَ) وَأَفْرَطَهَا الْحُكُومَةُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَأْتِي يَوْمٌ وَتُنْتَقَضُ هَذِهِ النَّظِيرَةُ؛ وَذَلِكَ لِسَبَبِيْنِ:

الأَوَّلُ: لَا تُسْتَطِعُ أَيُّ دُولَةٍ فِي الْعَالَمِ أَنْ تَعِيشَ مُسْتَقْلَةً عَنْ جِوارِهَا الْمُحِيطِ بِهَا.

الثَّانِي: أَنَّ النِّظامَ الدُّولِيَّ لَنْ يَتَرَكَ تُرْكِيَا وَشَانَهَا تَبْنِي اسْتِرَاطِيجِيَّتَهَا لِتَصِلَّ لِمَصَافِ الْدُّولِ الْكَبِيرِ فِي الْعَالَمِ، وَالْغَرْبُ يَعْلُمُ خَطْرَةَ تُرْكِيَا كَقَوْةِ إِسْلَامِيَّةٍ صَاعِدَةٍ تَسْتَنِدُ إِلَى إِرَثٍ تَارِيْخِيٍّ عُثْمَانِيٍّ، وَقَوْةِ إِيدِيُولُوْجِيَّةٍ بَصِيْغَةِ إِسْلَامِيَّةٍ صَقَّلَتْهَا بِالْتَّطْوِيرِ الصِّنَاعِيِّ وَالْعَسْكَرِيِّ وَالْاَقْتَصَادِيِّ، وَحاَوَلَ الْغَرْبُ جَاهِدًا أَنْ يَنْقِلِبَ عَلَى الْحُكُومِ فِي تُرْكِيَا مِنْ خَلَالِ مُنظَّمةِ أَرْغِينِيِّكُونَ السِّرِّيَّةِ، ثُمَّ التَّنْظِيمِ الْمَوَازِيِّ، وَفَشَلَ فِي ذَلِكَ، فَلَجَأَ إِلَى جَرِّ تُرْكِيَا إِلَى الْانْعِمَاسِ فِي مَشَاكِلِ مَحِيطِهَا، وَلَكَنِّي أَظُنُّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَخْطُرُ بِبَالِ السَّيِّدِ أوْغُلُوَ أَنَّ نَظِيرَتَهُ سَتُنْتَقَضُ بِهَذِهِ السُّرْعَةِ، وَتُضْطُرُ تُرْكِيَا إِلَى الْانْجِرَارِ تَدْرِيْجِيًّا فِي مَشَاكِلِ الْدُّولِ الْمُحِيطِ بِهَا.

وَسِنَاقَشُ وَضْعَ تُرْكِيَا مِنْ ثَلَاثَةِ مَحاَوِرٍ:

الأَوَّلُ: التَّدْخُلُ الْعَسْكَرِيُّ الْتُرْكِيُّ فِي شَمَالِ الْعَرَاقِ.

الثَّانِي: الْعَلَاقَاتُ الْتُرْكِيَّةُ الرُّوسِيَّةُ بَعْدَ إِسْقَاطِ الطَّائِرَةِ الرُّوسِيَّةِ.

الثَّالِثُ: دَعْمُ تُرْكِيَا لِلْمَعَارَضَةِ السُّورِيَّةِ الْمُسْلِحَةِ، وَمُوقَفُ تُرْكِيَا مِنَ الْحَلِّ السِّيَاسِيِّ.

بِنَظَرَةِ أَوْلَيَّةٍ لِلْمَحَاوِرِ الْثَلَاثَةِ نَجُدُ أَنَّ الْلَّاعِبَ الْمُشَتَّرَكَ بَيْنَهُمْ هُوَ الْعَالَمُ الْكُرْدِيُّ، وَسَنَاتِي بِالْتَّفَصِيلِ عَلَى ذَلِكَ:

ترْكِيَا وَالضُّغُوطُ الْأَمْرِيكِيَّةِ:

حاَوَلَتْ أَمْرِيْكَا بِكُلِّ جَهَدِهَا أَنْ تُقْنِعَ تُرْكِيَا بِاِسْتِخْدَامِ أَجْوَاهِهَا وَأَرَاضِيهَا فِي الْحَرْبِ الْأَمْرِيكِيَّةِ عَلَى الْعَرَاقِ عَامِ 2003، وَبَعْدَ سُقُوطِ بَغْدَادَ حَاوَلَتْ أَنْ تُجْرِي تُرْكِيَا لِذَلِكَ الْمُسْتَنْقِعِ وَفَشَلَتْ، وَاسْتَطَاعَتْ حُكُومَةُ حَزْبِ الْعَدْلَةِ وَالْتَّنْمِيَةِ أَنْ تُصْحِّحَ الْمَسَارَ التَّارِيْخِيَّ لِلْعَلَاقَاتِ الْتُرْكِيَّةِ الْكُرْدِيَّةِ مِنْ خَلَالِ نَسْجِ عَلَاقَاتٍ شَامِلَةٍ مَعَ حُكُومَةِ الإِقْلِيمِ الْمُتَمَثِّلَةِ بِمَسْعُودِ الْبَرْزَانِيِّ. وَأَقْنَعَتْ تُرْكِيَا

حكومة الإقليم بإنشاء ثلاث قواعد عسكرية صغيرة في غيريلوك (40 كم شمال العمادية)، و كانيماسي (115 كم شمال دهوك)، و سيرسي (30 كم شمال زاخو) على الحدود العراقية التركية، وهذه القواعد ثابتة، و ينتشر فيها جنود أتراك على مدار العام، طبعاً بالإضافة إلى القاعدة الكبيرة التي أنشأها عام 1997 في بامريني (45 كم شمال دهوك).

وتكررت آخر محاولة لأمريكا بإقناع تركيا أن تدخل في التحالف السُّنِّي ضد داعش، و رفضت تركيا ذلك إلا بشروط؛ منها المنطقة الآمنة، و رحيل الأسد، و بقي جوزيف بايدن 16 يوماً في أطول زيارة لمسؤول أمريكي إلى تركيا محاولاً إقناعها ولم يتوصلا إلى اتفاق.

لا شك أن تركيا ما تجرأت على رفض الضغوط الأمريكية إلا لعلها بتراجع الدور الأمريكي في الشرق الأوسط، وهذا ما أكدته "لاري جونسون" استخباراتي أمريكي سابق: (تركيا شعرت بعجز أمريكا فخرجت عن سيطرتها، و قرر أمريكا سحب 12 مقاتلة من تركيا يعني تبنيها سياسة الحذر تجاهها).

Kobani والامتحان الصعب:

تجسد الامتحان الصعب لتركيا في معركة كوباني، حيث هناك 20 مليون كردي تركي، و 2000 مقاتل تركي داخل داعش، فإن دخلت تركيا قوات البيشمركة فسوف تحرك داعش فوراً خاليا داخل تركيا، وتضرر موقع سياحي، وهذا يعني خسارة سنوية بمقدار 30 مليار دولار (الدخل السنوي لتركيا من السياحة).

وإن أبقيت الحدود مغلقة في وجه القوات الكردية فهذا يعني فتح باب الجحيم عليها من الداخل، كما هدد أو جلان من سجنه بأن سقوط كوباني يعني انهيار محادثات السلام مع تركيا، ولكن استطاع السيد أردوغان أن يتجاوز الامتحان الصعب هذا بإدخال عدد محدود من قوات البيشمركة العراقية، مع عدد قليل من الجيش الحر بقيادة العقيد عبد الجبار العكidi بعد أن صمدت قوات وحدات الحماية الكردية داخل كوباني، وتجاوزوا مرحلة سقوط المدينة بيد داعش.

القوات التركية في معسكر بعشيقه:

ننتقل إلى وجود القوات التركية في معسكر بعشيقه؛ التي دخلت إليها أصلاً بناءً على طلب الحكومة العراقية لتدريب قوات الحشد الوطني لتحرير الموصل من داعش، وبعد أن زادت تركيا من قواتها هناك بدأت تصاعد لهجة الحكومة العراقية ضد وجود القوات التركية، والحقيقة أن تركيا زادت قواتها هناك لسبعين..

الأول: ردَّة فعل على رفض خيارات تركيا في مؤتمر فيينا، وهذا ما يؤكد تصريح الباحث الاستراتيجي الإيراني "حسن أحmediyan" المقرب من السلطات الإيرانية على الجزيرة نت: (إدخال تركيا لقواتها إلى العراق رسالة لروسيا وإيران أن تركيا لن تقف مكتوفة الأيدي إزاء عدم الأخذ بخياراتها الاستراتيجية في مؤتمر فيينا).

والثاني: تصاعد تهديد داعش، وقررها من مناطق وجود القوات التركية في بعشيقه، وبعد الضغوط الأمريكية والعراقية الرسمية على تركيا قررت تركيا إعادة الانتشار وليس الانسحاب، وهذا ما أكد مصدر تركي في أنقرة للصحافية التركية "فيراذا أوزير" الكاتبة في صحيفة "حربيت": (القوات المسلحة التركية تصر على أن ما يحصل هو إعادة انتشار وتغيير في الأماكن لا انسحاب، حيث إن "الانسحاب يعني العودة من المكان الذي أتوا منه، أي تركيا"، مصادرى تفيده بأن عدد العساكر الذين تم تعيينهم في 100 جندي وقد استقرروا في معسكر بامريني في دهوك، أما عدد العساكر الذين ما زالوا في معسكر بعشيقه فيفوق عددهم قبل إرسال الدعم السابق؛ في الحقيقة كان من المقرر إرسال 40 دبابة لكن 18 دبابة فقط تمكنت من التحرك والانتقال، أما الـ 22 دبابة الأخرى فهي تنتظر على الحدود بسبب اعتراف بغداد على إرسال القوات). وهذا ما أكد السيد أردوغان لأوباما: (يريدون منا سحب قواتنا من العراق، وبنفس الوقت مشاركةً أوسع في قتال داعش؟!). إذن تركيا لم تزد عدد قواتها في معسكر بعشيقه من أجل الإعداد لتحرير الموصل فحسب، بل كورقة ضغط تستخدموها في الملف السوري، وهذا ما سألينه في المحور الآتي:

لستُ في صدَّ قديمٍ فاتورة حسابٍ: ماذا قدمتْ تركيا للثورة السورية؟ وإنْ كانَ لي رأيٌ خاصٌ أنَّ دَعْمَ تركيا للثورة السورية لُهُ شِقَانٌ أخلاقيٌ ومصلحيٌ، وما يهمُنا الشُّقُّ المصلحيُ لها.

إنَّ أكبرَ خطٍّ ناجمٍ من الثورة السورية على تركيا - بلا أدنى شكٍّ - هو محاولةُ الأكرادِ بناءً حُكْمًا ذاتيًّا لهم فيما يُعرفُ (غربيستان)، الممتدةٌ من القامشلي إلى عفرين، وهذا يمثلُ تهديداً للأمن القوميِّ التركي، ففيماً إقليلٌ كهذا يعني انفصالَ الجنوبِ الشرقيِّ عن تركيا وإلحاقُه بـ، ولم تتوانَ أمريكا لحظةً في استغلالِ وجودِ داعش للتحالف مع قواتِ الـ pyd على الأرضِ لقتالِ داعش وتحريرِ المناطقِ منها، ونجحتْ في تل أبيض وكوباني.

وحذرتْ تركيا أمريكا من استمرارِ دعمِ الأكرادِ، وأنَّ منطقةَ غربِ النَّهْرِ خطٌّ أحمرٌ (الخطُ ما بينَ غربِ النَّهْرِ وشرقِ النَّهْرِ سُدُّ تشنرين، وقد سقطَ منْ أيامِ بيدِ الـ pyd)، طبعاً حاوَلتْ تركيا جاهدةً أنْ تغيِّرَ المعادلاتِ على الأرضِ قبلَ التدخلِ الروسيِّ، وقدَّمتْ لفصائلِ حلبَ تحديداً كلَّ شيءٍ، ولكنَّ الفصائلَ خذلَتها ولم تتحقِّقْ شيئاً ملموساً على الأرضِ.

وحاوَلتْ إقناعَ أمريكا بإدخالِ مضادَّاتٍ طيرانٍ للفصائلِ المعتدلةِ، لكنَّ أمريكا رَفَضَتْ رفضاً قطعياً ذلكَ، وتَمَّ تهديدُ تركيا بأنَّ إدخالَ مضادٍ واحدٍ للثوار سيقابلُه إدخالُ عشرةِ مضادَّاتٍ لهـ manpad في قنديلي من نوعـ القادرٍ على إسقاطِ المقاتلاتِ التركيةِ الحديثةِ، لذا حاوَلتْ تركيا جاهدةً التفاهمَ معَ أمريكا على المنطقةِ الآمنةِ، وبعدَ مفاوضاتٍ شاقةً معها، وتضارُبِ التَّصْرِيحاتِ الأمريكيةِ والتركيةِ حولَ موافقةِ أمريكا عليها؛ قرَرَتْ تركيا المُضيِّ وحدَها في المنطقةِ الآمنةِ، وهذا ما أكَّدَهُ مصدرٌ رسميٌّ تركيٌّ لصحيفةِ "الشرق الأوسط" بعدَها الصَّادرُ يومَ الأحدِ 22 نوفمبر 2015، وأكَّدَ المصدرُ أنَّ فرنسا ستُشارِكُ في هذهِ المنطقةِ بغضَّاءِ جوَّيٍّ، وأثناءَ التَّحضيرِ للمنطقةِ الآمنةِ قامَتْ روسيا باختراقِ الأجواءِ التركيةِ ستَّ عشرةَ مرَّةً، وفي المرَّةِ السابعةِ عشرةَ أسقطَتْ تركيا المقاتلةَ الروسيةَ.

لماذا قامتْ روسيا باستفزازِ تركيا؟ ولماذا أُسقطَتْ تركيا المقاتلة؟

هذا ما نناقشهُ في المحورِ القادمِ.

تركيا بعدَ إسقاطِ المقاتلةِ الروسيةَ:

منَ المؤكَّدِ أنَّ روسيا أدركَتْ جديَّةً تركيا في العزِّ على إنشاءِ المنطقةِ الآمنةِ، وقدَّمَتْ فرنسا المشاركةَ فيها، لذا كانَ أمامَها حلٌّ وحيدٌ، وهيَ منْ خبرَتِ العقليةَ التركيةَ عندما يَمسُّ الأمرُ سيادتها وكرامتها، فقامتْ باختراقِ الأجواءِ التركيةِ 16 مرَّةً، وفي المرَّةِ الـ 17 أُسقطَ الأتراكُ المقاتلةَ الروسيةَ، وكانَ الروسُ يعلمونَ هذا، لكنَّهم بحاجةٍ إلى ذريعةٍ لعرقلةِ المنطقةِ الآمنةِ، لذا قامَ بوتين بحملةٍ إعلاميَّةٍ شيطانيةٍ وتهدياتٍ قيسريَّةٍ؛ لإربابِ تركيا وتحذيرِها منْ دُخُولِ طيرانها المجالَ السُّوريِّ، وقدَّ أَخَذَ ما يُريدُهُ معَ الأسفِ، بلْ تعرَّى ذلكَ إلى استقبالِ رئيسِ حزبِ الشُّعوبِ الديمقراطيِّ (صلاح ديمشاش) وفتحِ المجالِ للتعاونِ معَ الـ pyd، والـ pkk في سوريا.

وقامَ بإinzalِ قوَّاتِ إيرانيةٍ وروسيةٍ مشتركةٍ في عفرين وَفقَ شهودِ عِيانٍ في المنطقةِ، وهذا ما دعا تركيا لإعادةِ حساباتها كاملةً، خاصةً أنها لم تُؤمِّنِ البديلَ عن روسيا في مصادرِ الطَّاقةِ، فلو أوقفَتْ روسيا إمدادَ تركيا بالغازِ أسبوعاً واحداً فقطَ، والمواطنُ التركيُّ جُلُّ اعتمادِه على الغازِ، فـ بما سقطَ حكومةُ أردوغانَ خلالَ أسبوعٍ، لذلكَ فتركيا الآنَ في امتحانٍ صعبٍ جداً.

تركيا والخيارُ بينَ الشَّيْطَانِ وإبليسِ!

بعدَ تعقيدِ الملفِ السُّوريِّ لم يبقَ أمامَ تركيا إلَّا خيارانِ أشبَهُ بالتخديرِ بينَ إبليسِ والشَّيْطَانِ.

الأولُ: الخُضُوعُ للمطالبِ الروسيَّةِ، وسحبُ يدها من دعمِ الثورةِ السوريةِ مقابلَ وقفِ دَعْمِ روسيا والغربِ منْ ورائها لـ

pkk، وهذا يعني هزيمة سياسية شنيعة لتركيا بعد خمس سنوات من الدعم المتواصل للثورة السورية.

الثاني: الإقدام بشكل منفرد على إنشاء المنطقة الآمنة لمنع تقدم الأكراد غربي النهر، وهذا يعني صداماً مباشراً مع روسيا في سوريا قد يتطور إلى حرب روسية تركية، وهذا انتحار سياسي لكليهما.

رُبما يضيف البعض خياراً ثالثاً وهو استمرار دعم تركيا للثورة بالحد الأدنى، والتخلٍ عن المنطقة الآمنة مؤقتاً، وهذا يعني تقديم المشروع الروسي ببطء من خلال تغيير المعادلات على الأرض في الريف الجنوبي لحلب وجبال التركمان في الساحل، ومن جديد تقدم قوات الـ pyd داخل حدود المنطقة الآمنة على حساب داعش.

فهل سيتمكن السيد أردوغان وصحبه من تجاوز أصعب امتحان لتركيا؟ وما الخيار المطروح؟

هل يمتلك السيد أردوغان جرأة أستاذه أركان؟

مشكلة الساسة الأتراك - رغم شجاعتهم - أنهم يتذمرون في اتخاذ القرارات المصيرية، باستثناء الأستاذ "نجم الدين أركان"، في عام 1974، وكان وقتها نائب رئيس الوزراء لحكومة "بولنت أجاويد"، إتخذ قراره المصيري بالتدخل العسكري في قبرص، في 20 يوليو 1974 بالشراكة مع "بولنت أجاويد" (السيد "أركان" كان هو صاحب القرار المصيري وأجاويد كان وجهة فقط) لإفشال الانقلاب العسكري الذي قام به القبارصة اليونانيون بدعم من المجلس العسكري في أثينا، وأنفذت تركيا القبارصة الأتراك من مجازر محققة من قبل القبارصة اليونانيين، مما فرض أمراً واقعاً نتج عنه لاحقاً إعلان الجمهورية التركية لشمال قبرص عام 1983.

فهل سيكرر السيد أردوغان جرأة أستاذه ويتدخل بريئاً في منطقة غربي النهر بذرية محاربة الإرهاب (داعش) ويؤمن هذه المنطقة ويسلمها لفصائل يضمن ولاءها لتركيا؟

أظن أن هذا الخيار هو الأخير والأنجع لخروج تركيا من أصعب امتحان تعرّض له حكومة العدالة والتنمية منذ تسلّمها السلطة، رغم أن مخاطر قرار كهذا هي الصدام مع روسيا، إلا أن الحكومة التركية مُحصنة داخلياً وخارجياً، أمّا داخلياً فالمعارضة التركية بأغلبيتها تعتبر تجاوز الـ pyd لغربي النهر تهديداً للأمن القومي التركي، وأمّا خارجياً فهذا القرار مُعطى قانونياً بمكافحة الإرهاب، وإن اعتدت روسيا على تركيا فالناتو مضطر للدفاع عنها وفق اتفاقية تأسيس منظمة الناتو.

الشعب السوري والعالم الإسلامي ينتظر قراراً استراتيجياً كهذا من السيد أردوغان، فهل سيلبي مصلحة تركيا قبل آمال هذا

الشعب؟

مركز عزام للدراسات

المصادر: